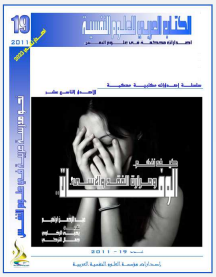

الفقد / الموت.. المنظومة الفكرية والتداعيات النفسية

د. جمـــال التركـــي (الطب النفساني، تونس)

رئيس مؤسسة العلوم النفسية العربية

turky.jamel@gnet.tn

السلسلة المكتبية الرقمية "نفسانـــي" -الإصدار 19 / 2011

اصدارات مكتبية محكّمة في علوم وطب النفس

نقاط على الحروف...

لم يكن عميد الأطباء النفسانيين العرب البروفيسور يحيى الرخاوي ليمر مرور الكرام لافتقاده المقاربة الثقافية لفهم ظاهرة الفقد / الموت (مقدمه الكتاب) ، حتى عدّ الكتاب " **فهرسا موسعا لكتب كثيرة قادمة** " ، مضيفا في حقه أنه " **كتاب جيد، ظلم عنوانُه محتواه، ففاض محتواه عن وعود عنوانه**"

ان لم يكن العميد ليغفل عن غياب مقاربة بهذا القدر من الأهمية، كذلك لم يكن لشخصية علمية بحجم المؤلف أن تكتفي في سعيها لفهم "**الفقد و مرارة الحزن والأسى**" بعرض ما خلصت إليه العلوم الحديثة (الطبية منها و النفسية) و أن يتغافل عن مقاربة هامة و جوهرية تثري فهمنا لها، انطلاقا من خلفيتنا الثقافية المختلفة.

و رفعا لكل إلتباس حول هذه " **الحلقة المفقودة** "، أشير الى سعى الكاتب بداية ،ان يكون الكتاب مؤلفا مشتركا بيني و بينه، فكان أن عهد إليّ تناول المقاربة الثقافية انطلاقا مما نحن عليه و مما وصلنا... ، مكملا بذلك ما جاء في مقاربته العلمية، ولما حالت دوني و ذلك معوّقات... رأينا أن من الأفضل اصدار الجزء الأول من الكتاب (حتى لا يتأخر النشر أكثر مما تأخر) محتويا المقاربة المعرفية العلمية للموضوع على ان يتبعه لاحقا الجزء الثاني محتويا مقاربة الموضوع من منظور ثقافي".

هل يكتمل الفهم يوما ...

إذا كان اكتمال الفهم اقتراب من اللانهاية... أنّى لنا بلوغها و أنّى له أن يكتمل ...

إن كان الفهم الكامل/المطلق من صفات اللامحدود الذي أودع أسراره خلقه ... أنّى للمحدود و بما جهز به من آليات محدودة الوظيفة (العقل، الوعي و الإدراك) ان يكتمل فهمه.

ان كان فهم الأنسان يرقى بما تراكم لديه من خبرات و معارف و علوم متجددة دوما... أنّى له أن يركن الى فهم ثابت يسكن إليه و كل ما يحيط به يجري (يتحرك) لأجل مسمي... و فوق كل ذي علم عليم.

سعى الكاتب بداية ،ان يكون الكتاب مؤلفا مشتركا بيني و بينه، فكان أن عهد إليّ تناول المقاربة الثقافية انطلاقا مما نحن عليه و مما وصلنا... ، مكملا بذلك ما جاء في مقاربته العلمية

لما حالت دوني و ذلك معوّقات... رأينا أن من الأفضل اصدار الجزء الأول من الكتاب (حتى لا يتأخر النشر أكثر مما تأخر) محتويا المقاربة المعرفية العلمية للموضوع على ان يتبعه لاحقا الجزء الثاني محتويا مقاربة الموضوع من منظور ثقافي".

إذا كان اكتمال الفهم اقتراب من اللانهاية... أنّى لنا بلوغها و أنّى له أن يكتمل

إن كان الفهم الكامل/المطلق من صفات اللامحدود الذي أودع أسراره خلقه ... أنّى للمحدود و بما جهز به من آليات محدودة الوظيفة (العقل، الوعي و الإدراك) ان يكتمل فهمه

ان كان فهم الإنسان يرقى بما تراكم لديه من خبرات و معارف و علوم متجددة دوما... أنّى له أن يركن الى

إن كان فهمنا لن يكتمل يوما رغم أنه يرقي بتراكم الخبرات جيلا بعد جيل ... حسبنا شرف السعي لإثراء الفهم **بما وصل الى و عينا / لاوعينا، في زمن ما و في مكان ما**، بذلك نكون أدينا أمانة الشهادة التي كلّفنا بها و قبلناها يوم شهدنا عليها... " و أشهدهم على أنفسهم... قالوا بلى شهدنا...".

في هذا الإطار يدخل سعي المؤلف تأسيس سلسلة اصدارات عنونها بـ" **كيف نفهم...**" و لا زال يسعى، وما نقدم له اليوم " **كيف نفهم ...الفقد و مرارة الحزن و الأسى**" هو احد ثمار هذا السعي المبارك.

الفقد/الموت.. المنظومة الفكرية والتداعيات النفسية

شرف لي كتابة كلمة استهلال كمدخل لأحد مؤلفات الأستاذ الدكتور عبد الرحمن إبراهيم، و هذا الشرف يكون مضاعفا إذا قدم للكتاب عميد الطب النفسي العربي البروفيسور يحيى الرخاوي، و مع مضاعفة الشرف تتضاعف المسؤولية، و ماذا عساي أن أضيف لمن قدم له الأستاذ العميد... لذا سأكتفي ببعض الإشارات في الموضوع من المنظور الثقافي علّها تكون مدخلا لفصول المقاربته العلمية المعرفية للكتاب، و هي لا ترقى الى مقدمة ثانية (لا أسمح لنفسي أن أقدم لكتاب حضي بشرف تقديم الرخاوي له).

لاجدال ان "الفقد" من سنن الحياة، اليست العمليات الأيضية في الجسم من "هدم/فقد" و "بناء/خلق"، أساس النمو و التطور، إنّ "الفقد" من سنن الحياة و لا غنى عنه لاستمرارها و تواصلها... ألا تفقد" الخلية الأم" حياتها وهي تنقسم نصفين لتهبها بقدرة خالقها الى خليتين، اليس كل ما في السماوات و الأرض الى فناء / "فقد/موت"، ألا يولد الإنسان و يحمل في ثنايا جيناته برمجة فنائه/فقده/موته (كل شيء هالك إلا وجهه...)، ان كان قدرنا ان نحيا و "الفقد/الموت" يترصدنا، ألا يكون علينا أن نتعايش معه بوئام و نتقبله باطمئنان كظاهرة طبيعية هي "**انتقال مفتوح**"، تحفزنا نحو الأفضل استعدادا لمرحلة تليها و ليست "**نهاية مغلقة**" و عدم خالص (الرخاوي) تبعث في الإنسان "**الحيرة و الإرتباك**" لما ينتظره من مصير، فيرتفع مستوى القلق النفسي عنده و يفقده اطمئنانه، محدثة اضطرابات في النفس، التي وان اختلفت مظاهرها يبقى منشأها واحد " **الخوف من المصير**". إن السعي لفهم اسرار الفقد/الموت بما هي "**انتقال مفتوح**"، يحفز ما اودع فينا من طاقات للخلافة على الأرض، لأداء رسالة كلفنا بها ، حتى نعمر الأرض بالخير و الصلاح، على مدى العمر انطلاقا من بداية الوعي الى أن ترجع النفس "المطمئنة" الى خالقها، و سنحاسب عنها يوما.

إن كان الإتفاق شبه حاصل حول معنى " الفقد / الموت" و ما يؤول اليه من هتك و وتفكك و انحلال لا رجعة فيه (دنياويا)، إلا أن الإختلاف يبقى قائما حول مظاهر ارتكاساته النفسية، سواء لدى المرضى الذين أشرفوا على النهاية أو لدى الذين افتقدوا الأهل و الأصدقاء و الأحباب، لما يمثله " الفقد / الموت" ، من صدمة نفسية عندهم، يختلف وقعها باختلاف أهميته المفقود في جهازهم النفسي و "المنظومة الذهنية/ العقائدية" التي يحملونها.

ان كانت تصنيفات الطب النفسي الحديث تحفل بوصف عديد المظاهر السريرية للإضطرابات المتعلقة بالصدمة، بداية من الحالات القلقية بمختلف أنواعها مرورا بالهلع و الكآبة و صولا الى الشدة التالية للصدمة، إلا أننا نلاحظ في ممارستنا السريرية أن مثل هذه الإرتكاسات النفسية هي

فهم ثابت يسكن إليه و كل ما يحيط به يجري (يتحرك) لأجل مسمى... و فوق كل ذي علم عليم

إن كان فهمنا لن يكتمل يوما رغم أنه يرقي بتراكم الخبرات جيلا بعد جيل ... حسبنا شرف السعي لإثراء الفهم بما وصل الى و عينا / لاوعينا، في زمن ما و في مكان ما

لاجدال ان "الفقد" من سنن الحياة، اليست العمليات الأيضية في الجسم من "هدم/فقد" و "بناء/خلق"، أساس النمو و التطور

إنّ "الفقد" من سنن الحياة و لا غنى عنه لاستمرارها و تواصلها... ألا تفقد" الخلية الأم" حياتها وهي تنقسم نصفين لتهبها بقدرة خالقها الى خليتين

ان كان قدرنا ان نحيا و "الفقد/الموت" يترصدنا، ألا يكون علينا أن نتعايش معه بوئام و نتقبله باطمئنان كظاهرة طبيعية هي "انتقال مفتوح

نلاحظ في ممارستنا السريرية أن مثل هذه الإرتكاسات النفسية هي أقل وطئة و انتشارا في مجتمعاتنا مما نجده في أدبيات الطب النفسي و التي صنفها علماء ينتمون الى ثقافة مختلفة

يعود ذلك إلى جهاز قيم و إلى جملة من المفاهيم المختلفة التي استقرت في اعماق وعينا، فكان أن قلصت الى حد بعيد ارتكاسات "الفقد/الموت" على جهازنا النفسي و ساهمت في تخفيض تداعياته المرضية

أقل وطئة و انتشارا في مجتمعاتنا مما نجده في أدبيات الطب النفسي و التي صنفها علماء ينتمون الى ثقافة مختلفة، قد يعود ذلك إلى جهاز قيم و إلى جملة من المفاهيم المختلفة التي استقرت في اعماق وعينا، فكان أن قلصت الى حد بعيد ارتكاسات "الفقد/الموت" على جهازنا النفسي و ساهمت في تخفيض تداعياته المرضية، فكانت هذه "الخلفية الذهنية/العقائدية" المستمدة الى حد كبير من فكر اسلامي رسخ مفهوم الحياة كمحطة نحن فيها عابري سبيل نحو محطة نهائية/دار الإستقرار الأبدي، صمام امان خفض معدل هذه الإضطرابات....، و كل ما يصيب الإنسان في حياته الدنيا يدخل في دائرة إبتلاء كتب عليه وهو نطفة امشاج، فالكل مبتلى ..والكل آتيه المصائب.. لحكمة منها، اختبار القدرة على التحكم في الذات و الصبر: "حتي نعلم الصابرين منكم" ..."وبشر الصابرين".. "انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب" .

لقد عرف الإنسان في ظل ثقافة تحمل فكر (الايمان بعالم الغيب / الشهادة): السكينة و الإطمئنان و وتراجعت التداعيات النفسمرضية للـ" الفقد/الموت" ، لكن مع تهميش هذه الثقافة و محاولات قصفها و سيطرة تيار فكري احادي البعد، خف وهج هذه الثقافة وتراجع، فكان أن **افتقدنا معاني عديدة** كانت صمام امان في خفض مستوى الإضطرابات، منها: **الإبتلاء، الصبر، المصابرة ،الإصطبار، السكينة ، الإطمئنان، الرحمة ،التراحم**... لتحل محلها مصطلحات اخري سيطرت على المشهد النفسي منها: **القلق، الحصر، الكآبة، الهلع، الرهاب**... ساهم في انتشارها "خلفية ذهنية/ايديولوجية" معادية للأديان، أحادية البعد، اسس لها فلاسفة عصر النهضة عند ثورتهم على انحرافات الكنيسة، كانت وصلتنا بعد انحسار الإستعمار العسكري و حل محله اخر مقنع أخبث و أعتى، حتى عُدَّ **موصوفا بالوصمة** كل من تجاسر و أعلن ايمانه و رفضه الفكر المادي الإلحادي، مع ما يصحبه من ابتزاز نفسي، فهو تارة رجعي، متخلف و اخري ظلامي، عدو النور، إلخ... إن تغييب الإيمان ببعديه (الشهادة/الغيب) و ما أتبعه من تعسف فكري غيّب ملكة الإيمان بالغيب و التي تعد من أهم ملكات الوعي الإنساني، ليكون هذا التوجه الفكري كارثيا على انسان عصرنا،. وإني أعتقد أنه لاخلاص له مما تردى فيه الإنسان، إلا **بإعادة قراءة النص البشري من خلال منظومة فكرية تستوعب كل قدرات الوعي الإنساني التي جهّز بها**، تأسيسا لتيار فكري ثنائي البعد، يستوعب ما حققته الإيديولوجيا المادية احادية البعد و يتجاوزها الى الأخذ بالإعتبار أهمية البعد الثاني / بعدي الغيب، علّنا نسترجع "**سكينة**" افتقدناها ونتجاوز ما جناه علينا **تيار مادي/أحادي البعد** ، جرفنا ردحا من الزمن الى ما آل اليه انسان اليوم، فكان الخلفية الفكرية لجل العلوم الإنسانية (و لم تكن العلوم النفسية بمنآى عن هذه الهيمنة)، آن أوان أفوله بعدما اشقى جبلا كثيرا من العالمين، في ظل انسحابنا من حلبة الصراع العلمي.

فكانت هذه "الخلفية الذهنية/العقائدية" المستمدة الى حد كبير من فكر اسلامي رسخ مفهوم الحياة كمحطة نحن فيها عابري سبيل نحو محطة نهائية/دار الإستقرار الأبدي، صمام امان خفض معدل هذه الإضطرابات

كل ما يصيب الإنسان في حياته الدنيا يدخل في دائرة إبتلاء كتب عليه وهو نطفة امشاج، فالكل مبتلى ..والكل آتيه المصائب.. لحكمة منها، اختبار القدرة على التحكم في الذات و الصبر: "حتي نعلم الصابرين منكم" ..."وبشر الصابرين".. "انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب" .

لقد عرف الإنسان في ظل ثقافة تحمل فكر (الايمان بعالم الغيب / الشهادة): السكينة و الإطمئنان و وتراجعت التداعيات النفسمرضية للـ" الفقد/الموت

رابط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/BR-eB19IbrahimPrefaceTurky.pdf

روابط ذات صلة

رابط تسوّق الكتاب
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=175&controller=product&id_lang=3
الفهرس وتقديم الكتاب (يحيى الرخاوي – جمال التركي)
http://arabpsynet.com/apneBooks/eB19/eB19AI2011-Content.pdf

****

روابط ذات صلة

****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com

*** *** ***

الكتاب السنوي 2023 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار hgehge عشر)

الشبكة تدخل عامها 23 من التأسيس و 20 على الويب

23 عاما من الكدح... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2021.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** *** ***

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعي....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بانساننا، فنرقى مجتمعاتنا فأوطاننا، فامتنا

*** *** ***

"نحو لياقة نفسانية أفضل لحياة طيّبة"

الصفحة العلمية للدكتور جمال التركي

تسجيل الاشتراك

www.facebook.com/turky.PsyFitness